المحاضرة الثالثة : الرواد والتجربة الشعرية الجديدة (التيار المحافظ المعتدل)

أولا : التيار المحافظ المعتدل : ويمثله مجموعة من الشعراء نذكر منهم:

- **نازك الملائكة:**

شاعرة عراقية مجددة من رواد حركة التجديد في الشعر العربي، ولدت ببغداد عام 1923، نشأت في بيت أدب ولغة، فأمها رباب ابنة الشاعر العربي الكبير عبد المحسن الكاظمي، درست بدار المعلمين العليابابغداد، وحصلت على الإجازة في الآداب، رحلت إلى امريكا واطلعت على الأداب الغربية، ودرست اللغة الإنجليزية وآدابها بجامعة وسكوس حصلت على درجة الماجستير والدكتوراه في الأدب المقارن، وعملت استاذة في اللغة العربية ببغداد إلى أن توفيت.

عبرت الشاعرة نازك الملائكة في شعرها عن هموم المرأة العربية وواقعها الاجتماعي، وأغلب ابداعها الشعري ذاتي؛ فهي منطوية على نفسها متمسكة بالأنا، وتعتبر قصيدتها كوليرا التي نظمتها 1947/10/27

ونشرت بعد ذلك بقليل أول قصيدة من الشعر الحر الذي يعتمد قانون التفعيلة الواحدة .

ولقد أشارت نازك الملائكة الى الخلاف الذي دار حول أول من له فضل سبق الريادة في الشعر الحر هما كان لها ذلك أم للسياب أم هناك من سبقهم في هذا الشأن [i] لأن السياب نشر قصيدته " هل كان حبا" من ديوانه " أزهار ذابلة" الذي صدر عام 1947، وفيه قصيدته الحرة الوحيدة، " هل كان حيا" وهو الشهر الذي ظهرت فيه قصيدة الكوليرا في مجلة العروبة بيروت، وهذا التسجيل الدقيق لتاريخ كتابة القصيدةوتاريخ نشرها يريد إثبات الريادة الزمنية لنازك، وهو أمر تجاوزته الدراسات النقدية التي ترى الريادة فنية لا تاريخية .

المتتبع لشعر نازك الملائكة من خلال دواوينها التي نذكر منها: أغنية الإنسان، عاشقة الليل (1947) و (قراءة الموجة 1957)، وشجرة القمر 1968، والصلاة والثورة، يغير ألوان البحر .... إلخ. يجد أنها تتطور فنيا بوتيرة بطيئة؛ لذلك تعرضت لمجموعة من الانتقادات بخاصة من لدن المعاصرين الحداثيين المتشددين أمثال أدونيس؛ لأنهم رأو أن التطور الفني التدريجي المرحلي لنازك كان كميا ولم يكن نوعيا؛ كان بطيئا ثقيلا ولم يكن سريعا، وبالتالي فإن العائد الفني الحداثي لها كان جزئيا ، ولا يرقى إلى مصاف الحداثيين الذين ينشدون التواصل أكثر مع الأشكال الإيقاعية الجديدة؛ كونها الضامن لإحداث تغيير جذري في الأدب.

وعلى الرغم من هذه الانتقادات إلا أن نازك نجحت فنيا في إحداث التواصل الموسيقي الجمالي بين الأشكال العروضية والإيقاعية ،يتجسد نجاحها أكثر في أنها أقامت الحوار بين العروضيين والايقاعيين .

عموما تميز شعر نازك الملائكة بخاصيتين اثنتين هما:

1 - تحقق التعايش أو الحوار بين العروضيين والايقاعيين .

2- شعرها بمثابة الجسر الذي عبر من خلاله الشعر العراقي من مرحلة الإنغلاق إلى مرحلة الإنفتاح الحداثي.

تقول الشاعرة من قصيدة " كوليرا "

سكن الليل

أصغ إلى وقع صدى الأنات
في عمق الظلمة تحت الصمت على الأموات
صرخات تعلو تضطرب
حان يتدفق يلتهب
يتعثر فيه صدى الآهات
في كل فؤاد غليان
في الكوخ الساكن أحزان
في كل مكان يبكي صوت
هذا ما قد مزقه الموت
الموت، الموت، الموت
يا حزن النيل الصائح مما فعل الموت
طلع الفجر
أصغ إلى وقع خطي الماشين
في صمت الفجر، أصخ، أنظر، ركب الباكين
عشرة أموات، عشرونا
لا تحصى، أصخ للباكينا
أسمع صوت الطفل المسكين
موتى، موتى، ضاع العدد
موتى، موتى، لم يبق غد
في كل مكان جسد يندبه محزون
هذا ما فعلت كف الموت
الموت ، الموت، الموت
تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

ملاحظات حول القصيدة :

- تكرر لفظة الموت بشكل لافت للانتباه كمفردة ودلالة معا .
- تكرار القافية جاء بحساب و تناسب هندسي بعدد متساوي من الأشطر في كل مقطع من مقاطع القصيدة الأربعة والتي تحافظ فيها نازك على عدد الأبيات.
- هي قصيدة من الشعر الحر ذات الإيقاع المتسارع.
- زاوجت بين الإيقاع والعروض من خلال تفعيلات (فعلن، فعلن) و ماتشيعه من ايحاءات بالازدحام و التدافع النغمي

د.علي معاش

- القصيدة عموما لم تتحرر كلية من الأوزان، ولكن الشاعر كما قلنا قدمت مشروعا حداثيا جديدا ومقترحا.

- نشرت القصيدة في مجلة " العروبة" الصادرة ببيروت عام 1947، وقد ضمتها فيما بعد إلى ديوانها في الشعر الحر شظايا ورماد ومن أشهر القصائد الحرة لنازك نذكر: "مر القطار"، "الخيط المشدود شجرة السرو" و"لنكن أصدقاء"، "جامعة الظلال" وغيرهما، وقد نشرت ديوانها هذا وكتبت في مقدمتها توجها نحو هذا الشكل الجديد بالقول: «في الشعر كا في الحياة يصبح تطبيق عبارة برناردشو: اللاقاعدة هي القاعدة الذهبية» محتجة بأن الشعر وليد الحياة، وأن الحياة ليس لهاقاعدة تتبعها في ترتيب أحداثها، وقد وضعت تجاربها في قصائد الديوان حره بأنها لون بسيط من الخروج على القواعد المألوفة، كما قالت عند نظم كوليرا، وأن ضرورة التعبير ساقتها لاكتشاف الشعر الحر .

وعلى العموم نجحت نازك الملائكة فنيا في إقامة الحوار بين الأدب العربي لحديث والأدب العربي المعاصر، ونقلت المخيلة الفنية العراقية من مرحلة محافظة والإحيائية إلى مرحلة الحداثة والتجديد وهو دور ريادي نهضوي.

- بدر شاكر السياب (1926م/1964م):

شاعر عراقي من أكبر شعراء العربية في العصر الحديث، على يديه خرج إلى الوجود الشعر الحر الذي يعتمد على نظام التفعيلة الواحدة، ويعد من شعراء القومية العربية البارزين .

ولد بقرية جيكور عام 1926م، تلقى تعليمه الأول بها ودراساته العيا ببغداد، توفيت والدته، وهو بعد صغير فعاش يتيما لم تستطع زوجة الاب تعويضه عن فقدان الأم، انخرط في الحزب الشيوعي العراقي، وصار مناضلا من مناضليه، واعتقل وسجن وعاش عاطلا ومغتربا و مشردا، وعرف الفقر والبؤس، أصيب بمرض قاتل، وتوفي بأحد مستشفيات الكويت عام 1964م وعمره 38 عاما .

بدر شاكر السياب والشعر الحر:

انقسم شعر السياب إلى أربع مراحل: الرومانسية، الواقعية التأملية، العودة إلى الذات، وفي كل مرحلة من هذه المراحل ظل السياب وفيا للنزعة الإنسانية في شعره، حريصا على مواصلة التجديد في شعره شكلا، من أهم دواوينه: "أزهار ذابلة" (1964) .

بدر شاكر السياب شاعر حداثي معتدل يختلف عن نازك فنيا فهو أكثر انفتاحا على التجديد؛ أي أكثر انفتاحا على القصيدة الحرة و التفعيلة والأشكال الإيقاعية الحديثة، وهناك فرق جوهري بينه وبين الملائكة على مستوى الفكر؛ فالسياب متشبع بالواقعية الاشتراكية في توجهها اليساري، بينما نازك الملائكة متشبعة بالأطروحة القومية المعتدلة.

وقد كان السياب مهووسا بتوظيف الأسطورة؛ عكس نازك التي انفتحت عليها بحذر، وعاش حياة قصيرة ولكن إبداعاته ثرية؛ فقيل أنه مات قبل أن يصل إلى الحداثة .

تبرز في شعر السياب ظاهرتين هامتين هما ظاهرة الشعور بالغربة وظاهرة الحياة والموت، فالغربة متمثلة في إحساسه بالحزن وكرهه حياته ، في الحقيقة وكشف عن أبعادها التي عانى منها كثيرا، فإحساس الشاعر بالمدينة هي انعكاس واضح للغربة الداخلية؛ إنه اليأس الذي يغمر روحه

لدرجة كان يرى فيها الحب نفسه مدينة سراب، أما موضوع الحياة و الموت فهو خيط متصل ورؤية خاصة عند السياب، فالموت يأخذ شكلا ؛ رمزيا يجسد الحنين إلى الخلاص من ناحية، ويتجه إلى

البحث عن الحقيقة؛ فالموت من اجل الحقيقة يعبر عن الرغبة في الوصول إلى عمق الحقيقة التي ام يستطع الشاعر أن يحققها في الحياة " .

وليس مثل قصيدة "أنشودة المطر " قصيدة أخرى تجمع لك هذين الطرفين المتقابلين الحياة والموت،الخصب والحرب، النور والظلام؛فالمتأمل لمطلع القصيدة فسيراه يحتوي على نغم حزين يكاد يخلع القلوب ولكنه ينطوي على الظلام الكثيف المحيط يكاد يطل عليك من خلال كلمات الشاعر :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين يبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء...كالأقمار في النهر

يرجه المجداف وهنا ساعة السحر

كأنها تنبض في غوريها النجوم

* * *

وتغرقان في ضباب من أسى شفيف

كالبحر سرح اليدين فوقه المساء

دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف

والموت، والميلاد، والظلام، والضياء

فتستفيق ملء روحي، رعشة البكاء

ونشوة وحشية تعانق السماء

كنشوة الطفل إذا خاف من القمر

كان أقواس السحاب تسرب الغيوم

وقطرة فقطرة تذوب في المطر

وكركر الأطفال في عرائش الكروم

ودغدغت صمت العصافير على الشجر

انشودة المطر ....

مطر.....

مطر.....

مطر.....

يرسم الشاعر في هذا المقطع مدينته الجميلة، ولكن هذا الحال ليس صافيا، وإنما جمال تغلله غلالة من الظلمة لغياب القمر عنها، وهو مصدر النور والبهجة؛ فالشاعر يتأمل وطنه ويجلس كل يوم إلى شجرة ذابلة يتأمل أوراقها الهشة السوداء ثم ينخرط في البكاء، يبقى ينتظر وصول أمطار غزيرة منهمرة تصل إلىوطنه، فتحيي السنابل الصفراء كالذهب وتهب الحياة .

د.نجيب معاش

وبكائيات السياب في الحقيقة على وطنه كثيرة في ديوانه، وهي تمثل نهرا دفاقا من الألم، ولكنها جميعها تنتهي بالأمل والرجاء وبعث الحياة

يقول في قصيدة " النهر والموت"

بويب... يا بويب

عشرون قد مضين، كالدهور كل عام

واليوم حين يطبق الظلام

واستقر في السرير دون أن أنام

فالقصيدة تعج بشحنة عاطفية حادة فيها الكثير من الألم و المرارة و الثورة والغضب، فهي تعبر عن واقعه الذي يعيشه، وهذه هي خصوصية التعبير بالشعر الحر، تقول نازك الملائكة: «إن الأوزان الحرة تتيح للفرد العربي المعاصر أن يهرب من الأجواء الرومانسية إلى جوالحقيقة الواقعية التي تتخذ العمل والجد غايتها العليا» ؛ فالقصيدة الحرة تساوي حرية التعبير؛ تساوي التحرر من أي قيود تعيق التعبير عن التجربة الشعورية المتدفقة .

- محمود درويش :

ينتمي محمود درويش إلى الجيل الأول المعاصر من شعراء الحداثة والمعاصرة وهو الجيل الذي قاد حركة الأدب العربي المعاصر، وكان متشبعا بالأطروحة الواقعية الاشتراكية، وهي الأطروحة التي صنعت الخطاب الشعري المعاصر - كما قلنا سابقا- ثم وجدناه أكثر انفتاحا على الخطاب الشعري الجديد الذي تغذيه مفاهيم الاستقلال و الثورة، لذلك تراجعت أشعار الهموم الإيديولوجية والاجتماعية ذات التوجهات الإشتراكية وحلت محلها أطروحة جديدة هي " أطروحة المقاومة" وهو المشروع الحداثي الذي ساندة "محمود درويش" إلى أن توفي في أوت 2008

ويعد الشاعر من رموز الشعر الفلسطيني الكبار في العصر الحديث ولد في قرية "البروة" الفلسطينية في 13 مارس 1941، كان له نشاط فعال ضد العدو الصهيوني، فاعتقل أكثر من مرة ما بين 1965 و 1969 وفي بداية الثمانينات انتقل للعيش في المنفى على مدى 25 عاما، الضفة الغربية عام 1996، بعدها انتقل إلى باريس كتب في صحف و مجلات عديدة، وأسس مجلة " الكرمل" الثقافية وترأس تحريرها. وهو من أكثر الشعراء العرب تعرضا للنقد والهجوم بسبب شعره الجريء

من أهم دواوينه: عصافير بلا أجنحة (1960)، أوراق الزنون (1964) عاشق من فلسطين (1966)، آخر الليل (1967)، العصافير تموت في الجليل (1970)، دورة الحزن واكتمال الجرح، ورد أقل، حصار لمدائح البحر، مديح الظل العالي، أحد عشر كوكبا، لا تتركوا اخت الحصان وحيدا، سرير الغريبة، وهو عن تجربته الأخيرة مع المرض التي اعتبرها " أخطر تجربة وجودية في حياتي... " .

ظل محمود درويش متمسكا بمشروع المقاومة الذي يعتبره مشروعا شموليا، وهو يعني الأمل، الرجاء والنجاة، إنه وعي ويقظة والمقاومة عنده هي الحرية إذن؛ فالمقاومة مشروع مجتمع متكامل يشارك

في تجسيده الشاعر والمسرحي والسينمائي والرسام و المنشد ...إلخ؛ فهي في الأدب العربي المعاصر تعني تحويل الأدب الغنائي الوجداني العاطفي إلى أداة من أدوات المقاومة.

فمحمود درويش شاعر حداثي بنيوي حينها انفتح على أدوات التعبير السردي وأدوات التعبير

السينمائي وغيرها فهو تطور فنيا على مستوى الشكل والمضمون؛ أي انفتح على العمودي و العمودي الحر، ثم الحروالحر المدور، ثم النثري الأدونيسي وتعد قصيدة " مديح الظل العالي" إحدى معلقات الأدب العربي المعاصر؛ حيث قام بإعادة المعلقات في عصر لم تعد فيه المطولاتموجودة، وكسر بذلك أطروحة الخطاب الشعري المشط و استحسنها القارئ المعاصر، يقول الشاعر من قصيدة، "مديح الظل العالي "

سقط القناع... عن القناع ... عن القناع. .

سقط القناع ...

لا إخوة لك يا أخي، ولا أصدقاء ! .

صديقي، ولاقلاع! .

لا الماء عندك، لا الدواء ولا السماء، ولا الدماء ...

ولا الشراع ولا الأمام ولا الوراء.

حاصر حصارك... لا مفرّ! .

سقطت ذراعك فالتقطها ! .

واضرب عدوك.. لا مفر .

وسقطت قربك، فالتقطني!.

واضرب عدوك بي، فأنت الآن

وعلى العموم يعد محمود درويش رائدا من رواد الحداثة حاول رسم واقعه بلمسات من ريشة فنان مبدع، مضيفا له انطباعاته الذاتية ورؤيته الخاصة .

دنيا معاش